متغير الإرهاب في العلاقات الليبية - الأمريكية:
ورقة أولية

■ د. عبدالمجيد خليفة الكوت* ■ د. مختار ضوء زامونة**

مستخلص:

يتناول هذا البحث العلاقات الليبية الأمريكية من خلال متغير الإرهاب ودوره في التأثير على هذه العلاقات. ومن منطلق أن حالة العلاقات الليبية– الأمريكية تمثل حالة دراسية فريدة لعب فيها متغير الإرهاب دوراً مؤثراً ومهما في تفاوت من درجات التعاون والصراع بما تحمله هذه العلاقات من تجاذبات ومشاحنات بين شد وجذب طيلة عقود طويلة من هذه العلاقة التي تأرجحت ما بين التعاون والتحالف من جهة، وما بين القطيعة والصراع والمواجهة من ناحية أخرى. ويتوزع هذا البحث على مطالب هي: المطلب الأول: العلاقات الليبية– الأمريكية: مرحلة التعاون والتحالف، المطلب الثاني: العلاقات الليبية – الأمريكية: مرحلة القطيعة والصراع، المطلب الثالث: العلاقات الليبية – الأمريكية: مرحلة الهدوء والانفراج. المطلب الرابع: العلاقات الليبية الأمريكية: مرحلة التحول بعد 2011 ويخلص البحث في النهاية إلى استشراف مستقبل العلاقات الليبية–الأمريكية على خلفية التحولات التي شهدتها ليبيا بعد 2011 وتحولها إلى ساحة من ساحات الحرب على الإرهاب، بعد تمدد العديد من التنظيمات والشبكات التي تصنفها واشنطن في خانة وقائمة الإرهاب.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب، العلاقات الليبية-الأمريكية، التعاون والصراع.

* عضو هيئة التدريس بالأكاديمية الليبية للدراسات العليا

* * عضو هيئة التدريس، بقسم العلوم السياسية بالجامعة المفتوحة

مقدمة:

أصبحت قضية الإرهاب من أهم القضايا الدولية التي تمثل متغيراً مهماً ومحورياً في العلاقات الدولية. وقد اكتسبت هذه القضية أهمية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 لدرجة جعلت ما يشبه الاتفاق بين دارسي العلاقات الدولية والنظام الدولي على فكرة أساسية مفادها: إن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر قد أوجدت عالماً جديداً مغايراً لما قبله (جاد، 2002، ص100).

كما أنه على المستوى المفاهيمي اعتبر العديد من الباحثين والمهتمين بدراسة العلاقات الدولية على أن أحداث 11 سبتمبر 2001 شكلت انقلابا على المفاهيم المستقرة في العلاقات الدولية، وتلك التي تجد أسسها في القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان.أو على رأي البعض أن تلك الأحداث كانت بداية التأسيس لنموذج معرفي جديد في العلاقات. حيث « ينظر إلى أحداث 11 سبتمبر 2001 بوصفها تشكل « براديغم جديد New Paradigm" في العلاقات الدولية . حيث ألقت هذه الأحداث بثقلها على العالم كله وطالت كل مجالات العلاقات والسياسات الدولية والنواحي الجيوسياسية، لدرجة " يمكن القول إن الحرب على الإرهاب، التي حرضت عليها إدارة جورج ووكر بوش بعد هجمات 11 سبتمبر، تشكل نظاما جيوسياسيا عالميا جديداً "(مواري، 2013، ص235).

فقد استدعت الإدارة الأمريكية بخاصة أثناء فترة حكم إدارة بوش الابن مقولة: «من ليس معنا فهو ضدنا» واستحضرت قواها وحلفاءها فيما أسمته «بالحملة الدولية لمحاربة الإرهاب» أو ما عرف «الحرب على الارهاب» كرد أمريكي على ما أصاب السمعة الأمريكية من مساس برموزها التجارية والسياسية وهيبتها العسكرية بوصف هجمات الحادي عشر من سبتمبر قد ضربت الولايات المتحدة الأمريكية في عقر دارها، وربما لأول مرة في التاريخ إذا ما تم استثناء حادثة ميناء هاربر في العام 1941 .

حيث تحولت الاهتمامات الأمريكية وتوجهات سياستها الخارجية نحو الحرب على الإرهاب كقضية أمن قومي في المقام الأول، والتي أدت بهذه التوجهات إلى تقسيم العالم إلى محور الخير في مقابل محور الشر أو ما دأبت الأدبيات الأمريكية على وصف دولة حسب تعبير نعوم تشومسكي» الدول المارقة»(تشومسكي، 2014).

وفرضت الإدارة الأمريكية مفهومها الخاص للإرهاب وهو مفهوم انفرادي تحدد واشنطن من خلاله من هم حلفاءها وأصدقاءها، ومن هم أعداؤها انسجاماً مع مصالحها ورؤيتها للحرب على الإرهاب التي قادتها وجندت خلفها أطرافا أخرى صنفت في دائرة محور الخير.

وفي هذا الشأن مثلت استراتيجية الأمن القومي الأمريكي التي أعلن عنها جورج بوش الأبن في سبتمبر 2002 خارطة طريق واضحة وصريحة للأسس والمباديء التي تبنى عليها حالة العلاقات الأمريكية مع غيرها بدول العالم وتوجهاتها الخارجية من منطلق مبدأ محاربة ومكافحة الإرهاب ما أدى إلى تحولات مهمة في الرؤية الاستراتيجية الأمريكية، وفي رؤية أمريكا لذاتها ودورها في العالم المحيط بها. حدث 11 سبتمبر وأهميته في تشكيل استراتيجية الأمن القومي الأمريكي لمواجهة تهديدات أمنية جديدة على رأسها التهديد الإرهابي .ذلك « أن أحداث 11 سبتمبر شكلت نقطة فاصلة في تحدي الهيمنة الأمريكية وكانت بمثابة اهتزاز لمكانتها كدولة عظمى. مما أدى إلى صياغة استراتيجية أمنية جديدة قادت إلى انغماس الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا الدولية، واعتمادها على استراتيجية الحرب الاستباقية كأداة رئيسية من أدوات مواجهة التهديدات الجديدة، بشكل انفرادي وفي توجه ينأى عن أية تحالفات تقليدية أو إجماع دولي إذا اقتضى الأمر ذلك »(الكاسح، 2006-2007).

وهي الاستراتيجية التي فيما يعرف بوثيقة «استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية The National Security Strategy of The United State "، و هي الوثيقة التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في 20 أيلول / سبتمبر 2002 . وقد حددت هذه الاستراتيجية الأولويات الأمريكية في عالم ما بعد 11 سبتمبر، شملت في مضموها التأكيد على مايلي:

1- تقوية التحالفات لهزيمة الإرهاب الدولي والعمل على منع أي هجمات ضد الولايات المتحدة وأصدقائها .

2- التعاون مع الآخرين للقضاء على الإرهاب.

3- منع الأعداء من تهديد الولايات المتحدة وحلفائها وأصدقائها بأسلحة الدمار الشامل .

4- إجراء التحولات في مؤسسات الأمن القومي الأمريكي لتصبح قادرة على مواجهة التحديات التي يفرضها القرن الحادي والعشرون، والاستفادة من الفرص التي يتيحها.

إشكالية البحث:

على خلفية هذه المقدمة يمكن صياغة الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في السؤال التالي: إلى أي مدى يعتبر متغير الإرهاب له دوره في العلاقات الليبية- الأمريكية؟.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من النقاط التالية:

1- إن قضية الإرهاب أصبحت القضية المحورية في عالم اليوم. فقد تصدرت قائمة اهتمامات المجتمع الدولي بكل فواعله، وبخاصة منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي الذي ارتقى بقضية الإرهاب إلى مصاف مهددات الأمن والسلم الدوليين بخاصة في قراره رقم 1373 الصادر في سبتمبر 2001.

2- إن قضية الإرهاب ومكافحته صارت قضية دراسية محل اهتمام في الأجندة البحثية والأكاديمية والمراكز الاستراتيجية في أغلب مناطق ودول العالم.

3- ارتباط قضية الإرهاب بقضايا جوهرية وحيوية دولية أخرى، كقضايا السلم والأمن والتنمية وحقوق الإنسان والبيئة وغيرها من القضايا الدولية الأخرى.

4- إن حالة العلاقات الليبية– الأمريكية تمثل حالة دراسية فريدة لعب فيها متغير الإرهاب دوراً مؤثراً ومهما في حالة من السيولة التعاونية والصراعية بما تحمله من تجاذبات ومشاحنات بين شد وجذب طيلة عقود طويلة من هذه العلاقة التي تأرجحت ما بين التعاون والتحالف من جهة، وما بين القطيعة والصراع والمواجهة من ناحية أخرى.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى استعراض العلاقات الليبية– الأمريكية وتفحص جوانبها وأبعادها وتحولاتها عبر مراحل عدة وبيان دور قضية الإرهاب ومكافحته في عمق

وتحولات هذه العلاقة منذ بداية تشكلها في النظام الملكي الليبي، ومروراً بمرحلة القطيعة والتصادم المباشر بعد 1969 ومرحلة الانفراج في هذه العلاقة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ونهاية بتحولها الجوهري بعد عام 2011. ومن ثم محاولة استشراف العلاقات الليبية- الأمريكية من خلال فرضية سيناريوهات عدة.

فرضية البحث:

ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية يمكن صياغتها في التالي: يمثل الإرهاب عاملا مهما في تفاعلات العلاقات الليبية-الأمريكية من حيث أوجه التعاون والصراع. وتتعامل هذه الفرضية مع الإرهاب كمتغير مستقل من شأنه أن يؤثر على طبيعة العلاقات الليبية- الأمريكية كمتغير تابع.

الدراسات السابقة:

موضوع العلاقات الليبية- الأمريكية من الموضوعات التي تناولتها العديد من الدراسات ومن زوايا عدة وخلال فترات زمنية مختلفة ويمكن إبرزاها في التالي:

دراسة عبيد، بعنوان «العلاقات الليبية–الأمريكية 1969- 2011» . ودراسة نصر، بعنوان «معالجة الصحف اليومية للعلاقات الليبية الأمريكية: دراسة تحليلية لصحيفتي أويا والشمس. ودراسة عوض، بعنوان «العلاقات الليبية الأمريكية». ودراسة الحسناوي، بعنوان «العلاقات الليبية الأمريكية 1945-1960 : رؤية استراتيجية». . ودراسة محمود، بعنوان «العلاقات الأمريكية الليبية 1969-1986». ودراسة بن عامر، بعنوان «العلاقات الليبية الأمريكية في ضوء حادثة لوكربي». بينما يتناول هذا البحث موضوع العلاقات الليبية الأمريكية من منظور الإرهاب كمتغير مؤثر في طبيعة هذه العلاقات.

منهجية البحث:

يستخدم هذا البحث المنهج التحليلي بهدف اختبار الفرضية الأساسية التي انطلق منها . ويستعين البحث بالمدخل التاريخي لتتبع مراحل العلاقات الليبية الأمريكية وتطورها . ويعتمد البحث على الأسلوب المكتبي في جمع البيانات والمعلومات من مصادرها الأولية والثانوية ذات الصلة بموضوع البحث.

خطة البحث:

يتوزع هذا البحث على مطالب أساسية هي:

- **المطلب الأول/** العلاقات الليبية- الأمريكية: مرحلة التعاون والتحالف.
- **المطلب الثاني/** العلاقات الليبية – الأمريكية: مرحلة القطيعة والصراع.
- **المطلب الثالث/** العلاقات الليبية – الأمريكية: مرحلة الهدوء والانفراج.
- **المطلب الرابع/** العلاقات الليبية الأمريكية: مرحلة التحول بعد 2011.
- **المطلب الخامس/** سيناريوهات العلاقات الليبية– الأمريكية

المطلب الأول/ العلاقات الليبية– الأمريكية: مرحلة التعاون والتحالف

يمكن التأسيس لهذه المرحلة، بداية، منذ تشكل دولة ليبيا الحديثة تحت مسمى " المملكة الليبية " وإعلان استقلالها بصدور قرار الاستقلال رقم 289 في 21 نوفمبرعام 1949، القاضي باستقلال ليبيا قبل أول يناير/ 1952 فتم ذلك تحديداً يوم إعلان الاستقلال في الرابع والعشرين من ديسمبر1951.

حيث اتسمت هذه المرحلة بالتعاون الكامل بين الدولتين، وانخراط ليبيا التام في فلك المنظومة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وانتشارها العسكري الملحوظ في قواعد عسكرية على الأرض الليبية كان أكبرها وأهمها قاعدة «هويلس» العسكرية في شرق العاصمة الليبية طرابلس. وقد اتخذت العلاقات الليبية – الأمريكية في هذه المرحلة عدة أبعاد أهمها:

- **البعد السياسي**، الذي يتمثل في إقامة علاقات سياسية ودبلوماسية كاملة وعلى أعلى المستويات بين البلدين، والدعم السياسي الأمريكي للنظام الملكي في ليبيا، وفي المقابل انسجام المواقف الليبية مع المواقف الأمريكية وانصياعها شبه الكامل لها. وهو الأمر الذي أدى إلى إحراج النظام الملكي الليبي في أكثر من مناسبة، بخاصة خلال حرب يونيو 1967 في إطار الصراع العربي – الإسرائيلي.
- **البعد الاقتصادي**، الذي اتسم بالتعاون الكبير بين البلدين في ظل اعتماد النظام الليبي الملحوظ على المساعدات الاقتصادية الأمريكية، والمساعدات التعليمية، والسيطرة شبه الكاملة للشركات الأمريكية على النفط الليبي تقنية وإنتاجاً وتصديراً. وفي هذا الشأن عادة ما يشار إلى ان " ليبيا كانت تحصل بالمقابل على مساعدات أمريكية اقتصادية تبلغ 42 مليون جنيه على مدى عشرين عاماً. كما تم عقد اتفاقية ثنائية أخرى بين البلدين وقعت في 20 يونيو 1957 حصلت ليبيا

بموجبها على مساعدات اقتصادية تقدر بأربعة عشر مليوناً خلال السنوات من 1959- 1960م " (أبودية، موقع إليكتروني).

- **البعد العسكري**، الذي تمثل في التواجد العسكري الأمريكي المباشر على الأرض الليبية عبر إقامة عدد من القواعد العسكرية الأمريكية التي تعد قاعدة « هويلس « العسكرية من أكبر هذه القواعد خارج حدود الولايات المتحدة، إضافة إلى مراكز الاتصالات في « بئر الأسطى ميلاد» ومراكز التدريب والرماية في «الوطية». وكان من أهم نتائج العلاقات العسكرية بين البلدين توقيع الاتفاقية الأمريكية الليبية بتاريخ الرابع والعشرين من ديسمبر1951، تزامناً مع يوم استقلال ليبيا وهي الاتفاقية التي كانت نتاج مباحثات الولايات المتحدة الأمريكية من خلال القائم بأعمالها في طرابلس «المستر اندروج لنش» مع» الملك إدريس السنوسي « والتي اسفرت عن وضع نصوصٍ لاتفاقيةٍ شاملة، أقرها الملك إدريس،ثم أصدر أوامره إلى رئيس وزرائه محمود المُنتصر بالتوقيع عليها، وتتألف هذه الاتفاقية من سبع وعشرين» 27» مادة وأربعة كتب متبادلة، مُنِحت أمريكا بموجبها تسهيلات عسكرية كبيرة ترتقي إلى مصاف التحالف بين البلدين، حيث نصت الاتفاقية المذكورة على ما يلي:

- حق بقاء القوات العسكرية الأمريكية في قاعدة هويلس الجوية لمدة عشرين عاماً.
- حق السيطرة الكاملة على الأجواء والمياه الليبية وحرية الوصول والحركة للقوات الأمريكية في جميع أجزاء ليبيا .
- سمحت الاتفاقية لأمريكا ودول أخرى أو أشخاص آخرين باستعمال القواعد العسكرية الأمريكية.
- إعفاء القوات الأمريكية من جميع الرسوم والضرائب وعدم سريان القانون الليبي على أفراد هذه القوات وما يجري في القاعدة.

كما " تم في يوم 9 سبتمبر 1954 التوقيع على اتفاقية عسكرية أخرى بين البلدين " منح الأمريكيون بموجبها حق استخدام القواعد العسكرية في هويلس ودرنة وبنغازي ومارس الأمريكيون إشرافاً كاملاً على السفن والقواعد الداخلية والخارجية وتمتع الأمريكيون بالاستقلال القضائي داخل القواعد.

ووصف الأمريكيون الاتفاقية العسكرية الأولى بأنها كسب استراتيجي هائل ذلك

أن ليبيا حلقة اتصال متوسطة حوض المتوسط والاتحاد السوفيتي وبين أفريقيا وأوروبا بالإضافة إلى أن سماء ليبيا فسيحة وصافية وتصلح للتدريب على الطيران "(أبودية، موقع إلكتروني). وعموماً فقد اكتسبت ليبيا مكانة مهمة في الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة وفي العالم بأسره، و « بناءً على هذه الأهمية التي تتمتع بها ليبيا فقد عمدت الولايات المتحدة الأمريكية ومنذ زمن بعيد أي منذ العهد الملكي إلى عقد اتفاقات وتحالفات مع ليبيا بل وحتى إقامة القواعد فيها مثل قاعدة هويلس وذلك حفاظاً على مصالحها في المنطقة» (عبيد، 2011).

المطلب الثاني/ العلاقات الليبية – الأمريكية: مرحلة القطيعة والصراع

وهي مرحلة صعبة من العلاقات الليبية – الأمريكية، اتسمت بالمشاحنة والخطاب السياسي والإعلامي الحاد والمحرض، مروراً بقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وأساليب الحصار الاقتصادي، ونهاية بالاستفزازات والمواجهات العسكرية المباشرة، بخاصة الغارة الأمريكية على مدينتي طرابلس وبنغازي، والاستهداف المباشر لرأس القيادة الليبية معمر القذافي وتدمير مقر إقامته في باب العزيزية حسب الخطاب السياسي الليبي الرسمي.

وقد بدأت هذه المرحلة، تاريخياً، منذ العام 1970 وحتى أواخر التسعينيات، مع طلب ليبيا إجلاء كبرى القواعد الأمريكية خارج حدودها « قاعدة هويلس» المعروفة حالياً «بميعتيقة» في 11 يونيو 1970م، وما تلاها من رحيل جنود الولايات المتحدة من قواعد أخرى كانت رابضة فوق التراب الليبي، مثل قاعدة « الوطية « التي كانت تعد من كبريات ميادين الرماية. ويمكن رصد الملامح الأساسية لهذه المرحلة على أكثر من بعد، وبما يؤشر إلى تدهور العلاقات بين البلدين ووصولها إلى نقطة القطيعة والمواجهة العسكرية.

■ **الناحية السياسية**: شهدت هذه المرحلة تدهوراً خطيراً في العلاقات السياسية بين البلدين وصلت إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما بشكل تام وكامل مع إغلاق السلطات الأمريكية سفارتها في ليبيا يوم 6 فبراير 1980 بداعي الاحتجاج على هجوم البعض على البعثة الفرنسية في ليبيا وبحجة مهاجمة السفارة الأمريكية من قبل الجمهور في طرابلس خلال شهر ديسمبر 1979. وفي تطور آخر طردت الولايات المتحدة الأمريكية يوم 6 أبريل 1981 العاملين في السفارة الليبية بواشنطن وأمرتهم بمغادرة البلاد وإغلاق السفارة وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين متهمة ليبيا بالإرهاب وعدم امتثالها

للقوانين الدولية وخرقها للقانون الدبلوماسي وما يرتبه من حصانات دبلوماسية. وبسبب اتهام الولايات المتحدة لليبيا بدعم الإرهاب قرر الجانب الليبي إغلاق السفارة الليبية في واشنطن وقطع العلاقات بين البلدين في مايو 1981.

■ **الناحية الاقتصادية**: شهدت العلاقات بين البلدين تدهوراً ملحوظاً وصل إلى حد القطيعة ومن ثم فرض حصار اقتصادي أمريكي بشكل انفرادي على ليبيا تطور إلى حصار دولي بفعل ضغط واشنطن وهيمنتها على مجلس الأمن وتحت دواعي واعتبارات رعاية ليبيا للإرهاب الدولي. حيث يلاحظ هنا أن أغلب قرارات مجلس الأمن بعد نهاية الحرب الباردة ذات الصلة بقضية الإرهاب في فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة، استهدفت دولاً عربية وإسلامية، هي ليبيا والسودان والعراق وأفغانستان . ومن أبرز هذه القرارات (القرار رقم 731 الصادر في يناير 1992 بخصوص قضية لوكربي. والقرار رقم 748 الصادر في مارس بشأن فرض جزاءات دبلوماسية واقتصادية وعسكرية على ليبيا . وقد تم تعليق هذه الجزاءات بالقرار رقم 192 عام 1998 بعد موافقة ليبيا على محاكمة المتهمين الليبيين في هولندا بواسطة محكمة اسكتلندية. وبصفة عامة، يمكن تلخيص التدهور الحاصل في العلاقات الليبية الأمريكية على الجانب الاقتصادي خلال هذه المرحلة من خلال الجدول التالي:

واردات ليبيا من الولايات المتحدة (بملايين الدولارات)

العام	الميزان التجاري
1973	**164**
1978	**654**
1979	**658**
1980	**554**
1981	**319**
1982	**26**
1982	**0**

نقلاً عن د. سعد أبودية، العلاقات الليبية الأمريكية من عام 1801 حتى قضية لوكربي، موقع أكاديميا www.academia.edu

وكان مجلس الشيوخ الأمريكي بحث سنة 1981 إمكانية فرض مقاطعة على استيراد النفط الليبي الخام لأمريكا حيث نجم عنه صدور أمر رئاسي بتاريخ 1981/3/10 يقضي باتخاذ الآتي : (المسلاتي، موقع اليكتروني).

أ ـ حظر استيراد النفط الخام الليبي.

ب ـ إخضاع الصادرات الأمريكية إلى ليبيا لنظام التراخيص.

ج ـ منع إصدار تراخيص لمواد ومعدات استراتيجية، وكذلك التقنية المتعلقة بصناعة النفط والغاز الطبيعي.

كما أصدر الرئيس ريغان أمراً رئاسيـــاً بتاريخ 1986/1/7 حدد فيه موعداً أقصاه 1986/2/1 لإيقاف الشركات الأمريكية وكذلك الرعايا الأمريكيين لكافة أوجه التعاون مع ليبيا، يتم تجديده سنوياً حيث صدر آخر تجديد لهذه المقاطعة عن الرئيس كلينتون بتاريخ 1994./12/13 وكانت الولايات المتحدة أعلنت في ديسمبر 1985 قرارها الخاص بتجميد ما قيمته 2.5 مليار دولار من السندات الليبية في أمريكا.

هذا وكان مجلس الأمن قد أصدر بتاريخ 1993/3/30 قراراً في هذا الشأن دعا فيه الرئيس بوش إلى السعي لفرض حظر نفطي من خلال الأمم المتحدة على ليبيا وحث رعايا أمريكا على مغادرة ليبيا.وضاعف مجلس الأمن عقوباته ضد ليبيا بموجب قراره رقم 883 في 11 نوفمبر لسنة 1993 والذي تضمن " منع تصدير بعض المعدات المتعلقة بالنفط وتجميد الأرصدة الليبية وقفل مكاتب الخطوط الجوية الليبية وقطع كل علاقة بها " (عبيد، 2011،ص424).

■ **الناحية العسكرية**: والتي تمثلت في بدايتها باتخاذ الكونجرس الأمريكي قراراً في عام 1975 يقضي بوقف صفقة سلاح بين البلدين كانت أقرت في العام 1974 تقدر قيمتها بأربعة ملايين دولار أمريكي. وبدون تفاصيل كثيرة تدهورت العلاقات بين البلدين وصولاً إلى المواجهات العسكرية المباشرة خاصة في عقد الثمانينات من القرن الماضي، ففي يوم 20 أغسطس أسقط سلاح الجو الأمريكي طائرتين ليبيتين من طراز سوخوي فوق خليج سرت الذي أعلنه معمر القذافي بمثابة خط الموت بوصفه مياها داخلية تمارس عليها ليبيا سيادتها كاملة ولا ينازعها في ذلك أحد. كما تلا ذلك جملة من الاستفزازات العسكرية الأمريكية المتواصلة من قبل أساطيلها وقطعها البحرية قبالة طرابلس ومدن

ساحلية أخرى. وكما أشرنا سلفاً، فقد تطورات هذه المواجهات بشكل استفزازي من قبل الولايات المتحدة وصولاً إلى أعنفها في منتصف شهر أبريل عام 1986 باستهداف مدينتي طرابلس وبنغازري ومقر إقامة القيادة السياسية الليبية في باب العزيزية.

وخلال هذه المرحلة صنفت ليبيا بأنها دولة راعية للإرهاب وممولة له وملاذ للمنظمات الإرهابية. على إثر الاتهام المباشر لليبيا وتورطها في حادثة تفجير ملهى «لابيل» الليلي في برلين الغربية بألمانيا في أبريل عام 1986 أسفر عن مقتل جنديين أمريكيين وأمرأة تركية وخلف 22 من الجرحى، حيث ادعت الولايات المتحدة الأمريكية تورط ليبيا في هذا الحادث بناءً على حصولها على نسخة من برقية عملاء ليبيين في ألمانيا الشرقية شاركوا في الهجوم. وبلغت هذه المرحلة مداها في اتهام ليبيا المباشر بالتخطيط والتمويل والتنفيذ لحادثة « لوكربي» الشهيرة بإسقاط طائرة «البانام» فوق قرية لوكربي الاسكتلدنية. واتخاذ الولايات المتحدة جملة من الإجراءات التصعيدية ضد ليبيا وتمريرها عبر مجلس الأمن الدولي، في بادرة غير مسبوقة من الناحية السياسية والقانونية.

وعلى العموم فقد اتسمت العلاقات الليبية – الأمريكية طيلة هذه الفترة بالمشاحنة الإعلامية والمواجهات العسكرية، وبالقطيعة والحصار الاقتصادي الذي كان له أثره على الوضع الاقتصادي والمعيشي في لبيبا.

المطلب الثالث/ العلاقات الليبية – الأمريكية: مرحلة الهدوء والانفراج

كان لتفجر أحداث الحادي من سبتمبر 2001، دور في تحول الخطاب السياسي الليبي الذي بادر بإدانة ما أسماه الهجمات الإرهابية التي استهدفت العمق الأمريكي. وقد حمل هذا الخطاب في ثناياه نوايا القيادة السياسية الليبية في محاربة الإرهاب، الأمر الذي يوحي بانخراطها في الحملة الدولية لمحاربة الإرهاب التي تبنت واشنطن قيادتها. ويمكن التأريخ لهذه المرحلة وبداية تشكلها مع الإعلان عن المبادرة الليبية المتعلقة بتدمير مخزونها من أسلحة الدمار الشامل والتي أعلن عنها البيان الصادر عن الخارجية الليبية في 19 ديسمبر 2002 حيث قررت ليبيا « بإرادتها الحرة التخلص تماماً من كل أسلحة الدمار الشامل المحظورة دولياً. وبررت ليبيا ذلك بأن سباق التسلح لا يخدم أمنها ولا أمن المنطقة ويتعارض مع حرصها الشديد على عالم ينعم بالأمن والسلام »(حنفي، 2004، ص122).

وفي خطوة أخرى قررت ليبيا نيتها دفع التعويضات عن مسؤوليتها على حادثة لوكربي

والتي قدرت بأكثر من ملياري دولار (حوالي 2.7 مليار دولار) لأسر الضحايا والتمهيد لفتح صفحة من العلاقات الجديدة مع الدول الغربية خاصة مع فرنسا وعودة العلاقات الطبيعية بين البلدين في يناير 2004 على إثر قبول طرابلس لدفع تعويضات مماثلة عن حادثة طائرة « يوتا » التي تفجرت فوق سماء النيجر عام 1989. كما عادت العلاقات الدبلوماسية بين طرابلس ولندن في شهر يوليو 1999. وكانت ليبيا أعلنت عن طريق الخارجية الليبية عن « تخليها عن دعم الإرهاب، وقطع علاقاتها بجميع المجموعات والمنظمات التي تتورط في الإرهاب الدولي بجميع صوره وأشكاله. وأنه ليس لديها معسكرات لتدريب الإرهابيين أو إيوائهم ودعت لجنة من مجلس الأمن الدولي والأمانة العامة للأمم المتحدة أو أي هيئة تابعة للأمم المتحدة للتحقق من ذلك. وأنها لن تسمح باستخدام أراضيها أو مواطنيها أو مؤسساتها للقيام بأعمال إرهابية بصورة مباشرة أو غير مباشرة وتوقيع العقوبات على من يثبت تورطه في مثل هذه الأعمال » (حنفي، 2004، ص119).

كل هذه الخطوات الليبية اعتبرت إيجابية من المنظور الأمريكي وهو ما مهد لانطلاقة العلاقات السياسية والدبلوماسية من جديد بين البلدين، حيث أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس في 15 مايو 2006 عن اعتزام الولايات المتحدة رفع درجة بعثة الولايات المتحدة الدبلوماسية في طرابلس – ليبيا من مكتب اتصال إلى سفارة يترأسها سفير أمريكي. وكما جاء في إعلان وزيرة الخارجية الأمريكية في 15 مايو 2006 فإن هذا « اليوم يمثل بداية عهد جديد في العلاقات الأمريكية– الليبية والتي ستعود بالفائدة على الأمريكيين والليبيين على حد سواء» (موقع السفارة الأمريكية في ليبيا).

بل إن تقارير دولية وغير حكومية كشفت عن انخراط ليبيا الكامل في الحملة الدولية للحرب على الإرهاب وتعاونها مع واشنطن والاستجابة لترتيباتها في هذا الإطار. وقد كشف تقرير أعدته منظمة العدالة من اجل المجتمع المفتوح، ومقرها نيويورك، أعده (Amrit Singh) بعنوان" Globalizing Torture : CIA Secret Detention and Extraordinary Rendition، إن ليبيا من بين الدول التي تحولت إلى ما يسمى" بالبقع السوداء" في إطار البرنامج الأمريكي الخاص بعمليات الاعتقال والتعذيب السري الذي تقوده واشنطن في الحرب على الإرهاب، وأفاد التقرير المذكور: أن " الرئيس الأمريكي جورج بوش في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001 أعطى تعليمات إلى وكالة المخابرات الأمريكية CIA في الشروع في برنامج الاعتقال السري تحت مسمى الإرهابيين المفترضين والذي عرف أيضا باسم " النقاط السوداء أو المواقع

السوداء، و كشف التقرير عن عدد ضحايا الاعتقالات والتعذيب وعن عدد من الدول والحكومات التي تورطت في هذه الانتهاكات. ويكشف التقرير المذكور عن أن " 136 شخصا تعرضوا لهذه الانتهاكات وربما يكون العدد أكثر من ذلك، وأن 54 دولة وحكومة تبث مشاركتها وتورطها في هذه العملية بطرق مختلفة من بينها 13 دولة عربية هي: مصر، الأردن، ليبيا، الجزائر، السعودية، المغرب، موريتانيا، اليمن، الصومال، سوريا، دولة الإمارات العربية، ودولة جيبوتي" (Amrit Singh,2013,p:11).

المطلب الرابع/ العلاقات الليبية الأمريكية: مرحلة التحول بعد 2011

وهي المرحلة التي بدأت تتشكل ملامحها مع أحداث الربيع العربي التي كانت ليبيا ساحة من ساحاته الساخنة بين النظام و الثوار المعارضين له في 17 فبراير 2011. حيث تلاحظ الأدبيات أن دور المتغير الخارجي و بخاصة سياسات الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في ثورات الربيع العربي كان واضحاً سواء أكان هذا الدور ذا طابع سلمي من خلال دعم ما يسمى بالتحول الديمقراطي في المنطقة أو عبر تقديم المساعدات والمعونات، أو كان ذا طابع عسكري فج كما حدث في التدخل العسكري من قبل قوات الناتو ضد نظام معمر القذافي في ليبيا. كما أن المتغير الخارجي لعب دورا مهما أثناء تفجر هذه الثورات بقصد دعمها أو فيما يسمى بالمراحل الانتقالية بهدف توجيه سياساتها حيث « تدخلت القوى الكبرى في شئون الدول العربية وعلى رأسها الولايات المتحدة التي تدخلت في مسار الثورات العربية للحفاظ على المصالح الأمريكية في المنطقة، وهو تدخل اتخذ منحى أكثر صلابة في التعامل مع ليبيا التي تدخلت فيها الولايات المتحدة بحجة المساعدات الإنسانية ولم تتوقف إلا بعد سقوط نظام القذافي «(رشدي، 2012، ص19).

وعلى العموم كانت الولايات المتحدة أهم حليف رئيسي للمجلس الانتقالي الذي يمثل القوى ضد النظام وخلال الحرب ضد القذافي، وذلك على الصعيد السياسي والعسكري:

■ فمن الناحية السياسية، كان للولايات المتحدة دور كبير في دعم المجلس الوطني الانتقالي الليبي المؤقت وكان لها دور مميز في إطلاق ما عرف بعملية فجر الأوديسيا في 19 مارس 2011، حيث بذل سفيرها لدى الأمم المتحدة " سوزان رايس»، تأثيراً واضحا على أعضاء مجلس الأمن توج باتخاذ القرار الرامي إلى فرض منطقة حظر

الطيران الليبية المقترحة. كما تميز الموقف الأمريكي بمساندة غير محدودة ة للاعتراف رسمياً بالمجلس الانتقالي الليبي باعتباره سلطة شرعية في ليبيا. وكان موقف الإدارة الأمريكية من الأحداث في ليبيا قوياً وحاداً، فقد استظلت الإدارة الأمريكية، ومن بعدها حلف شمال الأطلسي " الناتو " بالقرارين 1970، 1973 اللذين صدرا عن مجلس الأمن في مارس 2011 بوصفهما مسوغين للتدخل العسكري المباشر في الأحداث بحجة حماية المدنيين، الأمر الذي ساهم كثيرا في سقوط النظام ودخول ليبيا في مرحلة ما بعد القذافي .

■ ومن الناحية العسكرية، كان للقوات الجوية ومشاة البحرية والبحرية الأمريكية الدور المؤثر في تدمير قواعد الدفاعات الجوية الليبية، وهو دور مساند لقوات الناتو التي تدخلت بشكل مباشر في ليبيا في أواخر مارس2001 ما كان لذلك من أثر مباشر في إسقاط نظام معمر القذافي وتدمير قوته العسكرية.

■ غير أن مجريات الأحداث في ليبيا بعد القذافي لم تكن كما تشتهي الإدارة الأمريكية، حيث خيم خطر شبح الصومله والأفغنة على المشهد الليبي في ظل حالة الإنقسام السياسي والإنفلات الأمني وفوضى السلاح وانتشار تنظيمات متطرفة محسوبة على القاعدة أو أنها جزء منها وما يرتب ذلك من تحول المنطقة إلى ساحات مفتوحة من ساحات الحرب على الإرهاب . حيث فتحت الحرب الأهلية في ليبيا الأبواب على مصراعيها على مخازن الأسلحة الليبية، التي كانت فرصة ذهبية لتجار السلاح والمغامرين، وصناع الحروب، ومهندسي مناطق التوتر، وصانعي الجغرافيا السياسية للعنف «(حبيب، 2012، ص41). بل إنه وفي السياق ذاته صرنا « نشهد اليوم ما يمكن وصفه بانحدار سريع لليبيا نحو مزيد من الانفلات الأمني وضعف مؤسسات السلطة الانتقالية في مواجهة قوى متعددة المشارب والتوجهات والأهداف ونحو تصارعها بما يبرز آفاق الانتقال إلى حالة الدولة الفاشلة «(الصواني، موقع إلكتروني). وفي هذا السياق حذرت عدد من الدوائر والتقارير الاستراتيجية والمخابراتية من تحول ليبيا إلى ساحة من ساحات الحرب على الإرهاب، حيث حذرت هذه التقارير من خطر انتشار التنظيمات « الجهادية» وتنامي فروعها و تضخمها ما يوحي بخطر تنامي الإرهاب في المنطقة بكاملها. وكانت لحادثة الهجوم على القنصلية الأمريكية في بنغازي في 11 سبتمبر 2013 ومقتل السفير الأمريكي « ستيفن» وعدد من مرافقيه وأعضاء من القنصلية الأمريكية دور في مراجعة الولايات المتحدة الأمريكية لدورها في ليبيا التي صنفت أمريكياً بأنها ساحة من ساحات الحرب على الإرهاب. وتحولت الاستراتيجية الأمريكية في تعاملها مع الحالة الليبية، في اتجاهين متوازيين، هما:

■ تبني استراتيجية « القيادة من الخلف» Leading From Behind، أي ما يعني الاهتمام بالشأن الليبي في حدود دنيا تتعلق مباشرة بأمن ومصالح الولايات المتحدة، ودفع الحلفاء نحو لعب دور تقف من خلفه واشنطن وتوجهه. أي " القيادة من الكرسي الخلفي لتجنب تحمل تكاليف القيادة من الكرسي الأمامي أو تحمل أعباء المواجهة المباشر، وحتى يمكن توفير قوة البلاد ومواردها لمواجهة أحداث أكثر جسامة وربما أكثر أهمية "(الصواني، موقع إلكتروني).

■ توجيه ضربات محدودة ومقصودة ومدروسة للتنظيمات الإرهابية على الأرض الليبية تحت غطاء الحرب على الإرهاب ومساندة الأطراف الليبية التي تقوم بهذا الدور انسجاما مع المصالح والتوجهات وخدمة للأمن القومي الأمريكي. وهذا ما بدا واضحاً في الدعم الجوي الأمريكي في عملية تحرير سرت من تنظيم الدولة الإسلامية « داعش» عام 2016، بل إنه ومنذ يناير من نفس العام ثمة تسريبات « تشير إلى وجود تجهيز جاد « لعمل عسكري في ليبيا مهدت له وسائل الإعلام الأمريكية مشيرة إلى أن الولايات المتحدة وحلفاءها في أوروبا يستعدون لعمل عسكري في ليبيا عن طريق ضربات جوية وعمليات لقوات خاصة داخل ليبيا ضد تنظيم داعش «(السحار، موقع إلكتروني)..

وبالفعل كان الدور الأمريكي فاعلاً في استهداف تنظيم داعش في سرت، حيث أعلنت قيادة القوات الأمريكية في أفريقيا المعروفة باسم " أفريكوم " أنها نفذت ضربات جوية في مدينة سرت منذ بدء عملياتها في أغسطس 2016، مضيفة أن هذه الضربات تمت بطلب من حكومة الوفاق الوطني الليبية. وليست هذه المرة الأولى التي تقوم فيها القوات الجوية الأمريكية بتنفيذ ضربات محدودة في الأرض الليبية ضد التنظيمات الإرهابية، وبحسب المصادر الأمريكية، فقد تم استهداف مدينة درنة في نوفمبر 2015 ومقتل زعيم تنظيم داعش في ليبيا المعروف باسم أبو نبيل واسمه " بوسام نجم عبد زيد الزبيدي ". وفي فبراير من العام 2016 استهدفت الضربات الأمريكية معسكراً للتدريب تابعا لتنظيم داعش في مدينة صبراتة الليبية أدت حسب المصادر إلى مقتل نور الدين الشوشان أحد أبرز قيادي التنظيم في ليبيا وعدد آخر من أعضاء التنظيم هناك.

المطلب الخامس/ سيناريوهات العلاقات الليبية– الأمريكية

يقصد بالسيناريو « وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقاً من

الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض. والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات، أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة» (العيسوي، 2000، ص20).. ويمكن في ظل الحالة الليبية الراهنة تصور ثلاثة سيناريورهات للعلاقات الليبية – الأمريكية، هي كالآتي:

1- سيناريو بقاء الوضع على ما هو عليه، وهو سيناريو مرهون بحالة بقاء الأوضاع الأمنية والسياسية في ليبيا مشحونة من الناحية السياسية والعسكرية والأمنية وحالة الحدود غير المنضبطة والسائبة، مما يبقي على تصنيف الساحة الليبية من المنظور الأمريكي كساحة من ساحات الحرب على الإرهاب التي تتطلب معالجة أمريكية خاصة عن طريق الاستهداف العسكري المباشر لمواقع التنظيمات الإرهابية، خاصة ملاحقة تنظيم» الدولة الإسلامية» المعروف اختصاراً « داعش». الأمر الذي يضع الأطراف السياسية والعسكرية المنقسمة على ذاتها في حالة من الحرج نتيجة الاختراق الأمريكي المباشر للسيادة الليبية التي يدعي كل طرف سياسي ليبي الذوذ عنها وحمايتها من التدخلات الخارجية وانعكاس ذلك على مجمل العلاقات الليبية – الأمريكية خاصة في ظل انغماس أطراف عربية وإقليمية في دائرة الصراع الليبي السياسي والعسكري ودعمها لأطرافه.

2- سيناريو تحول الأوضاع الليبية إلى حالة أسوأ من اختراق التنظيمات الإرهابية وانتشارها بشكل مكثف وتمددها نحو مدن ومناطق ليبية أخرى، وعدم قدرة الحكومات الليبية المتعددة والمنقسمة على لجمها وتقليص تمددها وخطورتها وتحول ليبيا إلى خانة الدول الفاشلة. وهو سيناريو خطير ينبيء بالتدخل الأمريكي المباشر والصريح وانتقاله من حالة المساندة الفنية والعسكرية إلى حالة الاحتلال المباشر وفرض السيطرة العسكرية الأمريكية المباشرة على الأرض الليبية بحجة الحرب على الإرهاب، وهو أمر مرهون بنوايا الإدارة الأمريكية واستراتيجاتها في الحرب على الإرهاب، مما سيكون لذلك تداعيات خطيرة ونوعية على العلاقات الليبية – الأمريكية.

3- سيناريو تحول الحالة الليبية إلى التحسن والتوجه الوطني لبناء الدولة الليبية الحديثة والتغاضي على الخلافات السياسية ووضع حد للانقسام السياسي والعسكري وبناء جيش ليبي موحد قادر على حماية السيادة الليبية والتصدي لتمدد التنظيمات الإرهابية في البلاد. وهذا أمر مرهون بإرادة الليبيين للخروج من دوامة النزاع الليبي– الليبي وحل المشكلة الليبية ليبياً. بما يقود إلى فرض سيادة الدولة الليبية على إقليمها، والحديث بصوت ليبي موحد يكون له أثره الإيجابي في دعم العلاقات الليبية– الأمريكية إيجابياً وعلى أساس الندية والتفاهم والتعاون المشترك.

الخلاصة والنتائج:

تناول هذا البحث موضوع العلاقات الليبية-الأمريكية من منظور متغير الإرهاب ودوره في تأطير هذه العلاقات والتأثير عليها وتتبع تطور هذه العلاقات من مرحلة التعاون والتحالف مروراً بمرحلة الصراع والقطيعة وصولا إلى مرحلة الانفراج والتهدئة مع محاولة البحث لرسم سيناريوهات معينة لمستقبل العلاقات الليبية- الأمريكية. وخلص البحث إلى النتائج التالية:

1- العلاقات الليبية- الأمريكية علاقات قديمة تعود بجذورها إلى القرن التاسع عشر، وهي علاقة تعكس طبيعة وعمق التفاعل بين الطرفين الليبي- الأمريكي.

2- العلاقات الليبية- الأمريكية ليست مستقرة على نمط تعاوني واحد أو صراعي دائم، بل إنها تتأرجح من نمط التعاون والتحالف، إلى نمط الصراع الحاد السياسي والاقتصادي والعسكري حتى الوصول إلى درجة القطيعة التامة ومن ثم العودة للانفراج الحذر من قبل الطرفين.

3- متغير الإرهاب متغير حاضر في صلب العلاقات الليبية-الأمريكية وبدا ذلك بشكل واضح منذ وصول نظام معمر القذافي إلى السلطة في ليبيا وأصبح حاكما لهذه العلاقات خاصة بعد حادثة لوكربي ومن ثم أحداث 11 سبتمبر 2001، والتحولات السياسية التي شهدتها ليبيا بعد عام 2011.

قائمة المراجع:

الكتب:

1- تشومسكي، نعوم، الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالمية، تعريب: أسامة أسبر، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2004.

2- الحسناوي، طاهر محمد صكر، العلاقات الليبية الأمريكية 1945- 1960، القاهرة: دار الشروق للطباعة والنشر، 2012.

3- عوض، السيد، العلاقات الليبية الأمريكية، القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، 1995.

4- موراي، ورويك، جغرافيات العولمة : قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية (سلسلة عالم المعرفة 397)، ترجمة: د. سعيد منتاق، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فبراير 2013.

الدوريات والأبحاث العلمية:

1 - جاد، عماد، أثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم: الاتحاد الأوروبي وإسرائيل تحديداً، مجلة شؤون خليجية العدد 19، ربيع 2002.

2 - حبيب، كمال السعيد، قيد التشكل: الجغرافيا السياسية الجديدة والعنف في العالم العربي، مجلة السياسة الدولية، العدد 190، أكتوبر،2012.

3 - حنفي، خالد علي، السياسة الخارجية الليبية والتحولات الجذرية، مجلة السياسة الدولية، العدد 156، أبريل 2004.

4 - رشدي، داليا، البعد المنسي: تأثير المتغير الخارجي في صراعات المراحل الانتقالية للثورات، اتجاهات نظرية(ملحق مجلة السياسة الدولية)، عدد أكتوبر 2012.

5 - عبيد، منى حسين، العلاقات الليبية – الأمريكية -1969 2011، مجلة الأستاذ، 2011.

6 - العيسوي، إبراهيم، الدراسات المستقبلية ومشروع مصر 2020، القاهرة، سبتمبر 2000.

7 19691 - 1986، العراق: مجلة سامراء- جامعة سامراء، العدد 11، 2015.

الرسائل العلمية:

1- بن عامر، دريدي، العلاقات الليبية الأمريكية في ضوء حادثة لوكربي، رسالة ماجستير في العلوم السياسية-غير منشورة، الجزائر: جامعة بن عكنون، كلية الحقوق، 2013.

2- الكاسح، هشام تداعيات 11 سبتمبر على الاستراتيجية الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية، (رسالة ماجستير في العلوم السياسية– غير منشورة) قسم العلوم السياسية– أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس– ليبيا، العام الجامعي2006– 2007.

3- نصر، عمار ميلاد، معالجة الصحف اليومية للعلاقات الليبية الأمريكية: دراسة تحليلية لصحيفتي أويا والشمس، جامعة طرابلس: كلية الفنون والإعلام، العام الجامعي 2010.

المواقع الإلكترونية:

1- أبودية، سعد، العلاقات الليبية الأمريكية من عام 1801حتى قضية لوكربي، http://www.academia.edu

2- السحار، أحمد السيد، الدور العسكري الأمريكي في ليبيا يدخل مرحلة العلانية، موقع صحيفة الأهرام المصرية www.ahram.org

3- الصواني، يوسف محمد، الولايات المتحدة وليبيا: تاريخ مضطرب ومستقبل ملتبس، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية.

4- المسلاتي، حسن، العلاقات بين ليبيا والولايات المتحدة: عدد هائل من الأعمال العدوانية الأمريكية، موقع http://alarabnews.com

5- موقع السفارة الأمريكية في ليبيا، https://arabic.libya.usembassy.gov/ambassador.html

المراجع الأجنبية:

- Amrit Singh , Globalizing Torture : CIA Secret Detention and Extraordinary Rendition , New York: Open Society Foundations, 2013.